

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر

- [مقدمة](#)
- [باب ذكر مواسم العمر الموسم الأول](#)
- [فصل وقد برزق الصبي ذهاباً من صغره فيتخير لنفسه](#)
- [فصل فإذا راهق الصبي فننغي لأسه أن يزوجه](#)
- [الباب الثاني في ذكر الموسم الثاني](#)
- [الباب الثالث في الموسم الثالث](#)
- [الباب الرابع في الموسم الرابع](#)

بسم الله الرحمن الرحيم

▲ مقدمة

وبه التوفيق والهداية قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الإسلام مفتي الأنام بركة الزمان محيي السنة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الخزرجي - رحمه الله تعالى - : الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم يربح فيها ممثل المراسم ويخسر المضيع الحسير والحاسم.

فهي موضوعة لبلوغ الأمل ورفع الخلل.

زائدة الأرباح لمن اتجر مهلكة الأرواح لمن فجر الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر والسيئة ترد المستقيم إلى حال.

وبهذا العمر اليسير يشتري الخلود الدائم في الجنان والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن ومن فرط في العمر وقع في الخسران.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره وأن ينظر لنفسه في أمره.

فيغتنم ما يفوت استدراكه فربما.

بتضحيه هلاكه.

▲ باب ذكر مواسم العمر الموسم الأول

من وقت الولادة إلى زمان البلوغ وذلك خمس عشر سنة.

الحديث وما احتمل من العلم أمراه به ويقبحان عنده ما يقبح وبحثانه على مكارم الأخلاق ولا يفتران عن تعليمه على قدر ما يحتمل فإنه موسم الزرع.

قال الشاعر:

لا تَسْهُ عَن آدَبِ الصَّغِي * * رِ وَإِن شَكِيَ أَلَمَ التَّعَبِ

وَدَعِ الكَبِيرَ لِشَانِهِ * * كَبَّرَ الكَبِيرُ عَنِ الآدَبِ

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

وقال غيره:

إِنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا إِعْتَدَلَتْ ** وَلَا يَلِينُ قَوْمَتُهُ الْحَسْبُ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الصَّغِيرَ فِي مَهَلٍ ** وَآلِيسَ يَنْفَعُ فِي ذِي الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

كان [عبد الملك بن مروان] يحب ابنه [الوليد] ولا يأمره بالأدب فخرج لحناً فقال: أضر حبنا بالوليد.

▲ فصل وقد يرزق الصبي ذهنًا من صغره فيتخير لنفسه

كما قال الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلِ} فذكر في التفسير: أنه كان ابن ثلاث سنين فقال للكوكب والقمر والشمس ما فصل فإذا عبر الصبي خمس سنين بان فهمه ونشاطه في الخير وحسن اختياره وصدق نفسه عن الدنيا وعكس ذلك.

مر [عمر بن الخطاب] - رضي الله عنه - على صبيان يلعبون فنفروا من هيبته ولم يبرح [ابن الزبير] - رضي الله عنه - فقال له: مالك لم تبرح! فقال: ما الطريق ضيقة فأوسعها لك ولا لي ذنب فأخافه.

وقال الخليفة لولد وزيره وهو في دارهم: أيما أحسن دارنا أو داركم فقال: دارنا.

قال: لم قال: لأنك فيها.

ويتبين فهم الصبي وعلو همته وتقصيرها باختياراته لنفسه وقد تجتمع الصبيان للعب فيقول العالي الهمة: من يكون معي ويقول القاصر: مع من أكون. ومتى علت همته أثر العلم.

▲ فصل فإذا راهق الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه

فقد جاء في الحديث: (من بلغ له ولد أمكنه أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد إثماً كان الإثم بينهما).

والعجب من الوالد كيف لا يذكر حاله عند المراهقة وما لقي وما عانى بعد البلوغ أو كان قد وقع في زلة فيعلم أن ولده مثله.

قال: [إبراهيم الحربي]: أصل فساد الصبيان بعضهم من بعض.

وينزر من يؤثر العلم على النكاح.

ويعلم نفسه الصبر فإن [أحمد بن حنبل] - رحمه الله - لم يتزوج إلا بعد الأربعين.

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

الباب الثاني في ذكر الموسم الثاني

وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب

وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه الجهاد للنفس والهوى وغلبة الشيطان وبصيانته يحصل القرب من الله تعالى وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم.

وبالصبر فيه على الزلل يثنى على الصابرين كما أثنى الله عز وجل على [يوسف] - عليه الصلاة والسلام - إذ لو زل من كان يكون.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (عجب ربك من الشاب ليست له صبوة).

ويقول الله تعالى: (أيها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي).

وليعلم البالغ أنه من يوم بلوغه وجب عليه معرفة الله تعالى بالدليل لا بالتقليد وبكفيه من الدليل رؤية نفسه وترتيب أعضائه فيعلم أنه لا بد لهذا الترتيب من مرتب كما أنه لا بد للبناء من بان.

ويعلم أنه نزل إليه ملكان يصبحانه طول دهره ويكتبان عمله ويعرضانه على الله سبحانه وتعالى قال تعالى: {وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}.

قال [محمد بن الفضل]: منذ أربعين سنة ما أمليت على كاتب سيئة ولو فعلت لاتسحيت منهما.

فلينظر العبد فيما يرتفع من عمله فإن زل فليرفع الزلل بتوبة واستدراك.

وليغض طرفه فقد قال الله عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ تَعَضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}.

ويقول الله عز وجل: (النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان من تركه ابتغاء مرضاة الله آتية إيماناً يجد حلاوته في قلبه).

ومن استعمل الغض سلم.

وليكتف بالمرأة الواحدة ولا يترخص في كثرة الاستمتاع بالنساء فإنه يشنت القلب ويضعف القوى وليس لذلك منتهى.

كان بعض السلف يقول لنفسه: ما ههنا إلا هذه الكسرة وهذه المرأة فإن شئت فاصبري أو وكان خلق كثير يتأسفون في حال الكبر على تضييع موسم الشباب ويكفون على التفريط فيه.

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

فليطل القيام من سيقعد وليكثر الصيام من سيعجز.

والناس ثلاثة: من ابتكر عمره بالخير ودام عليه فذلك من الفائزين ومن خلط وقصر فذلك من الخاسرين ومن صاحب التفريط والمعاصي فذلك من الهالكين.

فلينظر الشاب في أي مقام هو فليس لمقامه مثل وليلتمح شرف اعته وثمرها المستوفى.

فالصبر الصبر فإن الساعي يصبر عن النكاح مع كونه شاباً شديداً الشبق فيقال له أحسنت.

فليصبر الشاب ليقال له: [هَذَا يَوْمُكُمْ].

وليحذر زلله في الشباب فإنها كعيب قبيح في سلعة مستحسنيه.

ومن زل في الشباب فلينظر أين لذتها! وهل بقي إلا حسرتها الدائمة التي كلما خطرت له تالم فصار ذكرها عقوبة ومن خرق ثوب التقى بيع بالخلق والمكسور.

قال [الجنيد] - رحمه الله - : لو أقل عبد على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان الذي فاته أكثر مما حصل له.

وكان بعض السلف - رحمه الله - يقول: وددت لو أن يدي قطعنا وغفر لي عن ذنوب الشباب.

قال المصنف - رحمه الله - : قلت يوماً في الوعظ: أيها الشاب أنت في بادية ومعك جواهر نفيسة وتريد أن تقدم بها على بلد الجزاء فاحذر أن يلقاك غرار من الهوى فيشتري ما معك بادون ثمن فتقدم البلد فترى الرابحين فتفقع أسفاً وتبكي لهفاً وتقول: {يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله} هيهات أن يرد الأسف ما سلف.

ومما قلته من الشعر في هذا المعنى:

أَمَّا الشَّبَابُ فَظُلْمَةٌ لِلْمُهْتَدَى * وَبِهِ صَلَالُ الْجَاهِلِ الْمُتَمَرِّدِ

لَيْسَ الَّذِي تَرَكَ الذُّنُوبَ مَشِيْبًا * كَالْتَارِكِ لَهَا وَقْتَ شَعْرِ أَسْوَدِ

فَاقْرَحِ إِذَا جَاهَدْتَ نَفْسَكَ صَابِرًا * يَا صَاحِ صِيْحِ فِي اللَّهْوِ يَا نَارُ إِخْمِدِي

إِغْنَمِ مَدِيْحَةَ يُوسُفَ فِي صَبْرِهِ * وَإِحْدَرِ تَعَجَلَ أَدَمَ فِي الْمَفْسَدِ

لَوْ لَا اجْتَبَاهُ لَكَانَ سَيِّئًا فَاضِحًا * يَعْصَى فَيَالِكَ مِنْ حَزْبِ مُكَمَدِ

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

فَاقْمَعُهُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَدُمَّ عَلَى ** الصَّوْمِ الطَّوِيلِ فَإِنَّهُ كَالْمَبْرَدِ
وَأَغْضُضْ جُفُوتَكَ عَنِ حَرَامٍ وَإِقْتِنِعْ ** بِحَلَالٍ مَا حَصَلَتْ تُحْمَدُ فِي عَدِّ
وَدَعَ الصَّبَا قَالَهُ يَحْمَدُ صَابِرًا ** يَا نَفْسُ هَذَا مَوْسِمٌ فَتَرَوِّدِي
الصَّبْرُ عَنِ شَهَوَاتِ تَفْسِيكَ تَوْبَةً ** فَاثْبُتِ وَغَالِطِ شَهْوَةً لَمْ تَرُقْدِي

الباب الثالث في الموسم الثالث

وهو حال الكهولة هذا الزمان فيه بقية من الشباب وللنفس فيه ميل إلى الشهوات وفيه جهاد حسن وإن كانت طاقات الشيب تزع وتطعج عن مهاد اللهو.

وليكتف الكهل بنور الشيب الذي أضاء له سبيل الرحيل وليعامل بالبقية المائلة إلى الهوى يريح لكن لا كريح الشاب.

قال [الشافعي] - رحمه الله - فيمن أتى امرأة وهي حائض: إن كان في أول الحيض فعليه دينار وإن كان في آخره فنصف دينار.

وهذا لأنه في أوله قريب عهد بالجماع فلا يعذر وفي آخره قد بعد عهده به فحفف عنه.

قال المصنف - رحمه الله -: ومما قلته في هذا المعنى:

قَدْ رَأَيْتُ الْمَشِيبَ نُورًا تَبَدَّى ** نُورَ الطَّرْقِ ثُمَّ مَا إِنْ تَعَدَّى

إِنْ نُورَ الشَّبَابِ عَارِيَةٌ عِنْدِي ** فَجَاءَ الْمُعِيرُ حَتَّى إِسْتَرَّدَا

جَاءَنِي نَاصِحٌ أَنَانِي تَذِيرٌ ** بِيَبَاضِ أَرَانِي الْأَمْرِ جِدًّا

دَعِ حَدِيثَ الصَّبِيِّ وَرَامَةَ وَالْعَوَى ** وَتَجِدْ يَا سَعْدُ وَاسِعَ لِسْعُدِي

وَتَرَوِّدِ زَادَ الشِّتَاءِ فَقَدْ فَآ ** تَ رَبِيعُ صَيَّعَتْ فِيهِ الْوَرْدَا

قِفْ عَلَى الْبَابِ سَيْلًا عَفْوَ مَوْلَا ** كَمَا إِنْ يَزَالُ يَرْحَمُ عَبْدَا

وله أيضاً - رحمه الله -:

عِشْتَ وَظِلُّ الشَّبَابِ مَمْدُودٌ ** وَالْعُصْنُ يَهْتَرُ وَالصَّبَا رُودٌ

فَأَقْبَلَ الشَّيْبُ فِي عَسَاكِرِهِ ** أُسُودُ غَابٍ فَعَابَتِ السُّودُ

كُنْتُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَشْرَقَ فَجَزَّ الْمَشِي ** بِ قَالِ لَيْلُ عَنْهُ مَطْرُودُ

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

قَد مَيَّسَ الْعُصْنُ فِي تَضَارْتِهِ ** لَكَيْتَهُ بَعْدَ أَنْ دَوَّتْ عَوْدُ
وَجَاءَكَ الْمَوْتُ فَانْتِظِرْهُ وَذَا الْعُمُ ** رُ يَسِيرُ وَالسَّيْرُ مَعْدُودُ
لَا بُدَّ مِنْ مُزَعِجٍ عَلَى عَرْرِ ** هَيْهَاتَ بَابُ الْبَقَاءِ مَسْدُودُ
تَرَحَّلْ عَنِ كُلِّ مَا تَخْلُفُهُ ** وَتَأْكُلُ الْجِسْمُ فِي الْبِلَى الدُّوْدُ
تَعْمُ وَيَمْحُو النَّرَى مَحَاسِنَهُ ** لَا تُعْرِفُ الْبَيْضُ فِيهِ وَالسُّودُ
وَالسَّمْعُ قَدْ ضَمَّ عَنِ مَوَاعِظِهِ ** وَالْجَهْلُ فَاسٌ وَالْقَلْبُ جُلْمُودُ
مَا لِلشُّمُوسِ قَدْ بَدَتْ أَوْافِلًا وَطَالَمَا ** رَأَيْتُهَا طَوَالِيعًا كَانِ الصَّبَا لَهَوًّا عَجِيبًا
حَالُهُ يَا سُرعَانَ مَا فُطِمْتُ رَاضِعًا ** بَادِرِ يَذَا الْبَاقِي وَأَدْرِكْ مَا مَضَى
لَعَلَّ مَا يَبْقَى يَكُونُ نَافِعًا يَا حَسْرَتِي ** عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَدَهَبَتْ أَيَّامُهُ صَوَائِعًا

▲ الباب الرابع في الموسم الرابع

وهو الشيخوخة قد يكون في أول الشيخوخة بقية هوى فيثاب الشيخ على قدر صبره وكلما قوى الكبر ضعفت الشهوة فلا يراد الذنب كما قال الشاعر:

تَارَكَكَ الدَّنْبُ فَتَارَكَتَهُ ** بِالْفِعْلِ وَالشَّهْوَةُ فِي الْقَلْبِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَرْكِهِ ** لَا لَكَ فِي تَرْكِكَ لِلدَّنْبِ

فإذا تعمد الشيخ ذنباً فهو مراغم إذ الشهوة الطالبة قد خسرت ولهذا قال رسول - الله صلى الله عليه وسلم -: (أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخ زان).

ومنهم من يقصد المراغمة فيلبس الشيخ الخاتم الذهب.

فالويل لمن لم ينهه شيبه عن عيبه ما ذاك إلا لخلل في إيمانه وقد يقول الشيخ العالم: علمي يدفع وقد رؤى بعض مشايخنا في المنام ف قيل له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي وهو معرض عني.

فقيل له: غفر لك وأعرض عنك!! فقال: نعم وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم.

وقد رأيت بعض مشايخنا - وكان مفراطاً - وهو عريان وقد تعلق بشديه ثلاث كلاب صغار - والجرو منهم - يمص ثديه.

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

وقد رؤي في المنام [يحيى بن أكرم] فقيل له: ما فعل الله بك فقال: قال لي
يا شيخ السوء

[وكذلك منصور بن عمار].

قال [الفضيل] - رحمه الله -: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم
ذنب واحد.

قال الله - عز وجل - [{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}](#).

قال [أبو الدرداء]: ويل لمن عمل ولا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع
مرات.

وقال: أخوف ما أخاف أن يقال لي: عملت فإن قلت: لا فقد علمت وإن
قلت: نعم لم يبق آية أمره أو ناهية إي وتجتني.

قال المصنف - رحمه الله تعالى -: ومما قلته في ذكر الشيب:

عَرَرْنَا بِالشَّبَابِ المُسْتَعَارِ ** أَقْفَنَا بِالمَشِيْبِ مِنَ الحَمَارِ
أَنَارَ لَنَا المَشِيْبُ سَبِيْلَ رُشْدٍ ** وَتَدِمْنَا عَلَى خَلْعِ العِذَارِ
فَتَحْنُ اليَوْمِ تَبْكِي مَا فَعَلْنَا ** فَكَيْفَ وَكَمْ وَقَعْنَا فِي خَسَارِ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَى حَزْنٍ وَخَوْفٍ ** وَتَدِبُّ فِي خُضُوعٍ وَإِنْكِسَارِ
تَعَالَوْا تَبْكُ مَا قَدْ كَانَ مِنَّا ** وَقَوْمُوا فِي الدِّيَاجِي بِإِعْتِذَارِ
وَمَا شَيْءٌ لِمَحْوِ الذَّنْبِ أَوْلَى ** مِنَ الأَحْزَانِ وَالدَّمْعِ العِزَارِ
سَتَدْرِي يَا مُفْرِطُ صِدْقِ قَوْلِي ** إِذَا عُودِرْتَ فِي بَطْنِ الصَّحَارِ
وَحَلَاكَ الرَّفِيقُ أَسِيرَ قَفْرِ ** تُرَافِقُكَ التَّدَامَةُ فِي القِفَارِ
وَقَدْ فَازُوا بِمَا حَازُوا جَمِيعاً ** وَأَنْتَ رَهِيْنٌ دُلٌّ وَإِفْتِقَارِ
فَخُذْ حَذَرًا وَزَادًا تَكْتَفِيهِ ** لِرِحْلَتِهِ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ سَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ ** فَمَا بَعْدَ العَنِيْبَةِ مِنْ عَرَارِ
وقال أيضاً:

أَشْيِبُ وَعَيْبُ إِنَّ ذَا لَبَغِيضُ ** سَوَادُ صِحَافٍ وَالعَدَائِرُ بِيضُ

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

مُكَاثِرَةٌ لِلَّهِ وَالصَّعْفُ زَائِدٌ ** وَجِسْمُ الْكَبِيرِ ذَائِبٌ وَمَهِيصٌ

في الحديث: (ابن ثمانين أسير الله في الأرض).

ولم يبق في زمان الهرم إلا تدارك ما مضى والاستغفار والدعاء وعمل ما يمكن من الخير اغتناماً للساعات والتأهب للرحيل.

وكان [سرى] لا ينام إلا غلبَةً ودخلوا على [الجنيد] - رحمه الله تعالى - وهو في الموت وهو يركع ويسجد فأراد أن يثني رجله في صلاته فما أمكنه لخروج الروح منها.

فقال رجل: ما هذا فقال: هذه نعم الله أكبر.

وكان [عامر بن عبد قيس] يصلي كل يوم ألف ركعة ولقيه رجل فقال: أكلمك كلمة فقال: أمسك الشمس [حتى أكلمك]

وقال رجل سأله: [عجل] فإني مبادر.

قال: وما الذي تبادر قال: خروج روحي.

وقال [عثمان الباقلاني]: أبغض الأشياء إلى وقت إفطاري لأني أشتغل بالأكل عن الذكر.

وكان [داود الطائي] - رحمه الله - يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز.

فقيل له في ذلك فقال: بين أكل الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

ودخل قوم على عابد فقالوا: لعلنا شغلناك.

قال: صدقتم كنت أقرأ فتعتموني.

ومن نظر في شرف العمر اغتنمه.

وفي الصحيح: (من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة). وقال الحسن رحمه الله: الجنة قيعان والملائكة تغرس فرما فتروا فيقال: مالكم فترتم! فيقولون: فتر صاحبنا.

فقال الحسن: أمدوهم رحمكم الله.

وقد رأينا جماعة من الأشياخ يرتاحون إلى حضور الناس عندهم وسماع الأحاديث التي تضر ولا تنفع فمضى زمانهم في غير شيء ولو فهموا كانت تسيحة أصلح.

تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ابن الجوزي

وهذا لا يكون إلا من الغفلة عن الآخرة لأن بتسيحة واحدة يحصل الثواب على ما ذكرنا.

والأحاديث الدنيوية تؤذى ولا تنفع.

كان [أبو موسى الأشعري] - رضي الله عنه - يصوم في الحر فيقال له: أنت شيخ كبير.

فيقول: إني أعده ليوم طويل.

وقيل لعابد: ارفق بنفسك.

قال: الرفق أطلب.

جاء بعض رفقاء [سري السقطي] - رحمه الله تعالى - إليه يزوره فوجد عنده جماعة.

فقال: يا سري! صرت مناخاً للبطالين ثم ذهب ولم يقعد.

ومن عرف شرف العمر وقيمه لم يفرط في لحظة منه.

فلينظر الشاب في حراسة بضاعته.

وليحتفظ الكهل بقدر استطاعته.

وليتزود الشيخ للحاق جماعته.

ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته.

نفعنا الله وإياكم بعلومنا ولا سلينا فوائد فهومنا (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ولا يجعل علمنا حجة علينا) إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من كتبها يوم الخميس المبارك تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وألف.

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى صحبه وسلم آمين.

آمين.

[منسوخ من موقع الإيمان ..](#)
[مكتبة مشكاة الإسلامية](#)